**المراكز العلميه في العصر الايوبي م.د.ازهار غازي**

**قسم التاريخ /كليه التربيه الاساسيه**

**أسواق الكتب وحوانيت الوراقين:**

يمكن عَدّ أسواق الكتب وحوانيت الوراقين، أحد الأماكن التي أثرت الى حد كبير في تقدم النشاط الفكري في مصر ابان العصر الأيوبي، ذلك أن بائعي الكتب لم يكونوا مجرد تجار يسعون الى جني المكاسب المادية فحسب، بل كان غالبيتهم أدباء ذوي ثقافة ينشدون الرياضة العقلية من وراء تلك المهنة التي كانت تتيح لهم القراءة والاطلاع على الدوام وتجذب لحوانيتهم أبرز علماء العصر وأدبائه إذ احتضنت التجمعات واللقاءات الثقافية بشكل يومي أو نصف اسبوعي على أقل تقدير.

ظهرت دكاكين بيع الكتب في بغداد منذ الأيام الأولى لقيام الدولة العباسية ومنها انتشرت انتشاراً واسعاً لتشمل مختلف حواضر العالم الاسلامي وكانت مصر في مقدمتها، فقد شهد عصري الطولونيين والأخشيديين قيام عدد من أسواق الكتب الكبرى التي شهدت نشاطاً علمياً ملحوظاً تمثل في مناظرات العلماء وحواراتهم التي كانت تحتضنها تلك الأسواق .

وإبّان العصر الأيوبي، شهدت أسواق الكتب وحوانيت الوراقين في مصر رواجاً كبيراً، نتيجة للنشاط العلمي الذي شهدته البلاد حينئذ، فغالباً ما كانت مواضع تلك الأسواق ملاصقة للمساجد الكبرى في المدينة وبالتالي تتأثر بفعاليتها، ففي الفسطاط، وتحديداً في الجانب الشرقي من جامع عمرو بن العاص في بداية زقاق القناديل، يقع أحد أكبر أسواق الكتب والوراقة . أما في القاهرة المعزية فقد امتدت دكاكين الكتب وحوانيت الوراقين على جانبي الجامع الأزهر وبازائه . ويرجح بدوي وجود أسواق اخرى استجدت فيما بعد لاسيما بعد بناء المدارس الكبرى كدار الحديث الكاملية والمدرسة الصالحية وذلك لتلبية احتياجات الطلبة والباحثين من الكتب والمخطوطات.

ويمكن أن نتلمس تأثير أسواق الكتب وحوانيت الوراقين في الحياة العلمية في مصر من خلال الندوات والمناظرات العلمية التي كانت تدور في أروقتها فقد اتخذ تاجر الكتب المصري المعروف ابن صورة من دهليز داره المطلة على سوق الكتبيين في القاهرة مكاناً لبيع الكتب حيث يجتمع هناك أعيان الرؤساء والفضلاء يومي الأحد والأربعاء من كل أسبوع فـ ((يعرض عليهم الكتب التي تباع ولا يزالون عنده الى وقت انقضاء السوق.)).

ولم تقف مهنة الوراقة عند حدود الصفقات التجارية وبيع الكتب فحسب، وانما تعدتها لتشمل مهاماً ثقافية مهمة وقتذاك إذ كان الوراقون ينسخون الكتب المهمة ثم يعرضونه للراغبين فيها ويتقاضون لقاء ذلك أجوراً متواضعة متوسطها ديناراً عن كل كتاب . بيد أنه من المهم هنا أن نذكر إن الكثير من الذين امتهنوا مهنة نسخ الكتب كانوا من كبار العلماء وقتذاك كالشيخ الحسن بن علي المنذري الوراق (ت 637هـ/1239م) الذي ((حدَّث وورق بالقاهرة مدة)). وكذا الحال بالنسبة للمحدث ابو الحسن علي بن سيدهم المالكي (ت 593هـ/1296م) المعروف بصهر الفقيه يعقوب الذي حدّث في مساجد مصر مدة من الزمن بجانب مزاولته لمهنته الأساس وهي تجارة الكتب . أما الشيخ عبد القوي بن ياسين القيسراني الكتبي (ت 615هـ/1217م) فقد كان أحد المحدثين الذين سمع عليهم الحافظ المنذري في مقتبل حياته العلمية، وكان يوصف بأنه صاحب معرفة ونباهة وطريقة جيدة يأنس لها المتلقي، وقد صنف مصنفاً يتضمن أخبار الصوفي الشهير ذي النون المصري إلا أنه توفي قبل إتمامه وكان يُعرف عنه أيضاً أنه ((يتأسف على اشتغاله بالكتب عن خدمة السُنة وصرف الهمة إليها.)) .

وبلغ من حذق بعض الوراقين وإلمامهم بخفايا مهنتهم، أن صنفوا فيها مصنفات عديدة، فالحسن بن محمد القرشي الشافعي المعروف بابن مروان (ت 625هـ/1227م)، وكان متقدماً في مهنته عارفاً بخفاياها، لذا فقد ((صنف فيها كتابين مشهورين مطولاً ومختصراً وكان عارفاً بخطط مصر وأملاكها.)).

وشهدت أسواق الكتب في مصر وباستمرار، زيارات لعدد كبير من العلماء من مختلف البلاد الاسلامية، أمثال ياقوت الحموي الأديب والجغرافي الشامي الشهير (ت626هـ/1228م) الذي زار مصر مرتين، الأولى عام 611هـ/1214م. أما الثانية فكانت عام 612هـ/1215م إذ حمل معه كميات كبيرة من الكتب لعرضها في أسواق الكتب هناك .